ملاحق معلوماتية

خاصة بالعلاقات الحضارية

التاريخية بين العراق وايران

إحصائيات سكان المشرق المسيحيين أثناء الفتح الاسلامي

هذان الجدولان يبينان الحقائق التالية :

ـ ان سكان الجزيرة العربية زمن الفتح لا يتجاوزون المليون وهناك تقديرات قصوى لا يتجاوزون المليونين.

ـ ان سكان العراق يتجاوزون التسعة ملايين، وهناك تقديرات دنيا تصل الى سبعة ملايين. بالنسبة لسوريا الطبيعية(الشام) فانها تبلغ أربعة ملايين وقد تتدنى الى ثلاثة ملايين في تقديرات أخرى. والغريب ان مصر كانت عند الفتح في حالة سكانية كارثية بسبب الظروف الطبيعية والصحية والاقتصادية التي سادت تلك القرون السابقة للفتح، ويبلغ العدد أقل من ثلاثة ملايين وقد يرتفع الى أربعة ملايين حسب تقديرات أخرى.

ـ ان أكثر من (90٪) من سكان النهرين وسوريا ومصر كانوا على الديانة المسيحية مع نسبة من اليهود لا تتجاوز الـ (5٪).

ويمكن ان نفترض بصورة أكيدة وجود أقليات أخرى من الصابئة والمانوية في العراق، اضافة الى أقلية من (المجوس) بسبب وجود الاداريين والدهاقنة (مسؤولي الضرائب) الايرانيين أثناء السيطرة الساسانية قبل الفتح. ان وجود 90٪ من المسيحيين في العراق يؤكد على ضآلة الفرس (المجوس) الذين استوطنوا في العراق. ولكن يمكن ان نفترض أن الكثير من الايرانيين والآسيويين استوطنوا في العراق وتزاوجوا مع العراقيين واندمجوا فيهم واعتنقوا ديانتهم وتكلموا لغتهم الآرامية، وهؤلاء (الأعاجم) اعتبروا سرياناً عراقيين خارج نطاق الوجود الاداري الايراني. نفس الحالة يمكن افتراضها بالنسبة للوجود (البيزنطي) في سوريا ومصر :

ملاحظة للقارىء، نرجو إضافة ثلاثة أصفار الى كل رقم في الجدول. مثلاً رقم (1000) يعني مليون

الطوائف في الأزمنة الأولى للخلافة العربية (بالآلاف)

الاقليم	اجمالي السكان	المسيحيون	اليهود
شبه الجزيرة العربية	1000	100	10
سوريا	4000	3960	40
بلاد النهرين	9100	9009	91
مصر	2700	2673	27
الاجمالي	16800	15742	168

السكان بحسب الطائفة في سوريا، من عام 633 الى عام 1580 (بالآلاف)

السنة	الاجمالي	المسلمون	المسيحيون	اليهود
633	4000	0	3960	40
730	4000	250	3710	40
900	4000	2000	1960	40
1199	2700	n.d.	n d	n.d
1343	1200	1068	120	12
1350	1000	890	100	10
1580	1419	1291	115	13

من كتاب «المسيحيون واليهود في التاريخ الاسلامي ـ فارج وكرباج ـ ص 44 – 45»

تعريب وأسلمة سكان العراق الآراميين (الأنباط)

إن هذه المقاطع من كتاب المؤرخ (الدوري) تكشف عن ان سكان العراق عند الفتح الاسلامي كانوا يتكلمون الآرامية من الشمال حتى خليج البصرة. ويبدو أن عملية التعريب ونشر الاسلام بدأت في الحواضر التي استقرت فيها الجيوش العربية مثل البصرة والكوفة والموصل، لأن سكان هذه الحواضر اضطروا بسهولة الى التخلي عن ديانتهم المسيحية النسطورية وتبني اللغة العربية وحمل القاب عربية من أجل تسهيل حصولهم على امتيازات الدولة الاسلامية والمشاركة في الجيوش والحصول على الغنائم. وتبين المصادر التاريخية أن سكان الأرياف بقوا عدة قرون بعد الفتح على ديانتهم المسيحية ولغتهم الآرامية. وقد أطلق العرب على الآراميين العراقيين والسوريين تسمية : (نبط، أنباط).

وتكشف لنا هذه المقاطع عن أن الكثير من العراقيين ادعوا بالنسب الفارسي من أجل إغاظة الفاتحين العرب الذين استغلوا الفلاحين العراقيين واستولوا على أراضيهم وفرضوا «الجزية» حتى على الذين اعتنقوا الاسلام. ثم ان كلمة «فارسي» في ذلك الوقت لم تكن تعني أبداً قومية معينة بل كانت مثل كلمة «عثماني» و «بيزنطي» أي جميع الشعوب التي كانت خاضعة للامبراطورية الفارسية من ايرانيين وتركستان وأرمن وآراميين:

❖ وكان الفلاحون في القرى في صنف الأحرار نظرياً، إلا أنهم في الواقع لم يكونوا دائماً كذلك وكانوا يؤلفون جزءاً كبيراً من الشعب ويتكلمون الآرامية مع العربية.

ويستعمل لفظ (النبط) للاشارة الى الفلاحين الذين يتكلمون الآرامية في العراق وخصوصاً في منطقة البطيحة. وقد أوضح ابن الكلبي ان العرب كانوا يطلقون لفظ (النبط) على سكان العراق الذين لم يكونوا رعاة ولا جنوداً ويسمى المسعودي فلاحي العراق (النبط) و(السريان).. ويصيب المسعودي حين يعتبر النبط سكان العراق القدماء وأن الفرس أضعفوهم. ثم يذكر أن النبط دخلوا في جملة الفرس «وانتسبوا اليهم»، وأنه لما حصلت الفتوحات الاسلامية ذهب بعض النبط الى الانتساب للفرس «وأنفقوا من النبطية لزوال العز الذي كان فيهم، وانتمى جلهم الى ملوك الفرس». ثم يقتبس شاعراً يتساءل :

«وأهل القرى كلهم يدعون بكسرى قباذ فأين النبط؟»

ليظهر بذلك أن عامة القرويين من النبط. وأخيراً يتحدث عن قرى نبطية قرب سامراء.

ولقد قامت الطبقة المتوسطة من الآراميين بدور مهم في الحركة الثقافية في العراق وأخرجت عدداً من الأطباء الكبار والفلكيين والعلماء والمترجمين. وقد كانت حرّان المركز الأول للثقافة الآرامية وفيها بقية الدين الصابئي القديم الذي يدور حول عبادة الكواكب. وكانت هناك مجموعات كبيرة نسبياً من الآراميين المسيحيين في تكريت والرقة وقرب الموصل.

وكان فلاحو السواد فقراء جداً، يقول المقدسي في معيشة أهل البطيحة : «عيش ضيق، إدامهم السمك، وماؤهم حميم»... ثم يصف النظرة الاجتماعية اليهم فيقول : «وعقلهم سخيف ولسانهم قبيح» والكثير من هؤلاء الأنباط كانوا من الأقنان ويعيشون في القرى ويعتبرون جزءاً من الأرض. وكان هؤلاء في الأصل من الفلاحين النبط الأحرار، ليس لهم ما يملكون إلا مقدرتهم على العمل. وعندما تنتقل ملكية الأراضي التي يشتغلون عليها سواء أكان ذلك بالفتح أو بالشراء كانوا يبقون على الأرض، كان السادة الجدد يعتبرونهم جزءاً من ملكيتهم الجديدة ويعاملونهم معاملة العبيد. وقد حصل هذا قبل الاسلام، وجاء الاسلام فألغى الفوارق الطبقية بين المغلوبين وحرر العاملين في الأرض، إلا أن قسماً منهم بقوا عبيداً في الواقع».

من كتاب «تاريخ العراق الاقتصادي» ـ عبد العزيز الدوري ـ ص 31ـ32 و 76ـ77.

العقيدة القومية الإيرانية

هذا تعريف مكثف لطبيعة العقيدة القومية الايرانية، وهي لا تختلف كثيراً عن العقيدة القومية العربية:

❖ بالاضافة الى ذلك فإن النظام البهلوي، مثله في ذلك مثل النظام النازي في ألمانيا والفاشي في ايطاليا يروج أيديولوجية قومية تقوم على الشوفينية وعلى الحنين الامبراطوري وعلى عبادة شخصية القائد.. وهناك في هذا الصدد نقطة شبه محددة وهي أن الشاه نفسه قد أخذ على عاتقه اعادة تأكيد ايمانه بالنظرية العرقية القائلة بأن ايران بلد «آري»، كما انه أضاف الى الألقاب الرسمية لقب آريامهر (نور الآريين). وقد بدأ اصطناع ميثولوجيا قومية ايرانية خاصة في القرن التاسع عشر من جانب المثقفين، وقد شجع رضا خان فيما بعد ذلك تشجيعاً عظيماً فقد عمل على إعادة كتابة التاريخ الايراني للتقليل من أهمية الفترة الاسلامية التي بدأت في القرن السابع عندما فتح العرب إيران. وبدلاً من ذلك عمد الى تفخيم الماضي ما قبل ـ الاسلامي الذي يمتد من القرن الخامس الميلادي وشجعت الدولة أعمال الحفريات الأثرية للتنقيب عن مخلفات هذه الفترة. وكان هذا التاريخ الدعاوي هو ما يتعلمه الأولاد في المدارس، والصحف الايرانية مليئة بقصص شوفينية حول كيف اخترع هذا الملك أو ذاك الاستراتيجية العسكرية وكيف أن الحضارة الايرانية فاقت كل ما عداها. وهنا تستخدم الملكية والقومية كي تعضد الواحدة منهما الأخرى ذلك إن إحدى الموضوعات الرئيسية في ايران اليوم هي ان ايران لا تكون قوية إلا إذا كانت محكومة لشاه قوي وكانت الاحتفالات بمرور 2500 سنة على الملكية التي أقيمت عام 1971 مخصصة للتأكيد على هذه العلاقة.

ويتضمن رفض الفترة الاسلامية نشر فكرة شوفينية ضد العرب الذين تلام «بربريتهم» على كل أراضي ايران اللاحقة.

ولعل من المثير للسخرية الى حد بعيد ان كافة الأدلة المتوفرة تشير الى ان العرب فتحوا ايران بسهولة بالغة لأن جمهرة السكان الايرانيين رحبت بهم. فقد رأى هؤلاء في الغزو العربي وسيلة للاطاحة بحكامهم من الشاهات المتجبرين واحتضنوا الاسلام جزئياً على الأقل بوصفه دين أكثر ديمقراطية من العقيدة الزرادشتية التراتبية التي كانت مسيطرة في إيران حتى ذلك

الحين.. وهناك تشويه آخر قام به النظام بدأه رضا خان عام1936، ذلك هو محاولة تطهير اللغة الفارسية من الكلمات الأجنبية ــ وخاصة العربية والتركية ــ واستبدالهما بـ «فارسية نقية».. ويفترض في الوثائق الرسمية في الجيش ان تكون مكتوبة بهذا الأسلوب الجديد، ولكن الفشل كان نصيب هذه السياسة بشكل عام: فالشاه نفسه لا يتكلم هذه «الفارسية النقية» على الاطلاق، كما ان النظام تردد على الدوام في القيام بأحوج الاصلاحات جميعاً، أي استبدال الخط العربي غير الفعال بخط تسجل فيه كل الحروف سواء أكانت حروف علة أو حروفاً ساكنة. وكان أتاتورك قد قام بهذا الاصلاح في العام 1982».

من كتاب «مقدمات الثورة في ايران ـ فريد هوليدي ـ ص 84ـ85»

❖ ❖ ❖

مناطق الوجود العراقي التاريخي
في إيران وتركستان

صحيح أن العراق (بلاد النهرين) كان حضارياً ولغوياً جزءاً من المجموعة السامية ــ العربية وبعلاقة روحية متميزة مع بلاد الشام. إلا أن العلاقات السكانية ظلت وطيدة مع الشرق الاسيوي (الايراني ــ التركستاني ــ القفقاسي الأرمني). وظلت الهجرات الاستيطانية والغزوات مستمرة نحو العراق منذ فجر التاريخ وحتى القرن الحالي. لهذا فإن العراقيين ارتبطوا سكانياً مع هذه المناطق وكثرت الهجرات العراقية التجارية والدينية والعسكرية نحو ايران وارمينيا وتركستان. العراقيون هم الذين نشروا المسيحية والمانوية في هذه المناطق، ولازالت الآثار المسيحية السريانية في الهند والصين وتركستان وايران وارمينيا. أما الفتح الاسلامي لآسيا فإن الجيوش كانت بأغلبيتها من سكان العراق (العرب والآراميون) ومراكز الانطلاق والقيادة كانت في الكوفة والبصرة.

هنا لمحة عن وجود العراقيين في خراسان التي تشتمل حالياً على أجزاء من شرق ايران وأفغانستان وتركمانستان للعلامة ماسينيون:

❖ وقد كان تأثير البصرة عظيماً في خراسان ولا سيما في أقاليمها الأربعة: هَراة ونيسابور وبلخ ومرو..

أما بلخ فهي بَختر القديمة بوابة أسيا الوسطى، وهي على اتصال بطريق الحرير والصين، كما انه الطريق الذي كان الترك وأصحاب الأغنام يسلكونه في تنقلهم الى أعالي الجبال ما بين أُش وكشغر وتَرفان وهو كذلك الطريق الذي اتبعه الاسكندر. ولعل «بلخ» أكثر عواصم خراسان آثاراً بصرية. ومن الناحية السياسية لما كان الأزديون هم المؤسسون لبلخ فُوِّض البكريون قبل سنة 132هـ بادارتها، وكان رؤساء بني شيبان القائمين على طريق القوافل التجارية فيها (النقيب الأول أبو خالد الشيباني (فطر 129 هـ)، وفي فانين كان الوالي بصرياً في سنة 130هـ وقد توفي والي خراسان سنة 140هـ).

إن أمراء «بلخ» وهم بنو ماهان (من سنة 130 الى 260هـ) الذين جُرِّدوا عن إمارتهم من قبل بني فَريغون القادمين من جُوزجان كانوا أتباع النقيب الشيباني: منهم عبسى (المتوفي سنة 134هـ) وابنه (رئيس الحرس العباسي في بغداد سنة 158هـ، انظر ابن خلكان ط. وستنفلد 447/1 ـ 466)، وبعد موت والي خراسان سنة 191هـ كان لحفيدة عيسى بن علي ثروة طائلة في «بلخ» (انظر الطبري 713/2)، ومنهم داود أمير بانجور (قرب بلخ) كان والياً على البصرة سنة 206هـ.

ومن الناحية العقلية تبع البلخيون النمط البصري؛ ففي «الحديث» كانوا متشددين ولكنهم منهجيون، ومنهم مقاتل بن سليمان وكان ذا أصول في تفسير القرآن (انظر مجموعتنا لسنة 1929 ص 194 ـ 210)؛ وفي ميدان الاعتزال كان للبلخيين مدرسة خاصة. وفي الزهد كانوا أصحاب النظريات «للمراحل» المكتسبة (شقيق، حكيم الترمذي) وأتباع الحلاج المتطرفين الذين عرفوا بـ «العطارين»؛ وفي الفلسفة كان أبو زيد البلخي الباحث المستقل. وفي التاريخ الأدبي كان البرمكيون وهم أصلاء في مدينة بلخ، قدموا اليها من البصرة قبل أن يستقروا في بغداد.

أما «مرو» فقد جاء اليها البصريون من هواة؛ وقد تركوا بكراً وعبد القيس في «مرو الروذ» «وطالقان». وقد استقر في «مرو» كل من بني تميم وبني خزاعة والأزديين وعمروها.

وإذا تأملنا في الجيش الخراساني الذي كان نواة للجالية العباسية المستقلة الى قطاعات تتبع رؤساء عسكريين وذلك في الجانب الغربي سنة 762م كما في الجانب الشرقي في سنة 674م، وهذه الجالية كانت مستقرة في مرو الروذ، أمكننا بقوة أن نتحرى الاشعاع البصري في المحيط البغدادي منعكساً وآتياً عن طريق «مرو». ومن هذا التأثير ما كان قبل ذلك في علم الحديث،

فقد تأثر البغداديون باثنين من علماء الحديث من «مرو» هما ابن المبارك (المتوفى سنة 181 هـ في هيت) وهو حنظلي من غطفان، وابن حنبل الشيباني الذُهلي من بكر (أو بالأحرى حرقوصي من تميم). ان تخطيط بغداد في الجانب الغربي يشير الى أن باب الشام للضبيين ولجماعات من طوس وابيورد (تميم، انظر ميهنة مواطن الزاهد أبو الخير الذي نزل أحفاده في بغداد)؛ وأن باب البصرة للتميميين وبني الحارث من أهل البصرة (والى جانب الكنديين في الكوفة وهم الأشاعثة)؛ وان باب المحول لبني الحارث من اهل مرو وأبيورد والأهواز (خوز). أما الجانب الشرقي فلخزاعة وبلحارث (المخرِّم) وتميم.

وبصرف النظر عن الاتصالات غير المنظمة والمقصودة مع الرقة (حيث الاسطرلاب الحرّاني الذي عرفه التميميون في الكوفة) والاتصال مع الموصل، لم تفلح الكوفة إلا في مسألة واحدة هي توليد «جالية ـ Colonie) فكرية كانت قد تبنتها، وكان ذلك في مدينة «قم» تلك المدينة العجيبة «المقدسة» عند الشيعة حيث قُدِّست فيها السيدة فاطمة ــ رضي الله عنها ـ وتبدو عظمتها وقدسيتها في انها عندهم قد تحولت الى «فاطر» من «الفطرة» والى ليلة القدر والمسجد الأقصى، والدرة البيضاء و«كوني ــ Kuni» وهي المحور من الصفوة المختارة الخمسة من أهل «العَبا». لقد كانت «قم» إقطاعاً للمرازبة الكوفيين من بني الأشعر اليمانيين ومن الطلحيين الذين ينتسبون الى الأمير الثالث طلحة (المتوفي سنة 110هـ) طوال الحقبة الممتدة بين 83 الى 270 هـ تقريباً. ان هذه «النحلة» الفاطمية التي نجدها في سورية لدى الشعراء «النصيريين» «المهلبيين» تبدو قد تطورت بعيداً عن النظريات الغنوصية لأتباع سلمان الفارسي في المدائن.

وكانت البصرة قد أدخلت «التقنيات ــ Techniques» شيئاً فشيئاً الى «سيراف»، كما أدخلت صناعة الدباغة استفادة من خشب الطلح في عدن وذلك قبل سنة 530هـ بوساطة الأسرة المنذرية الذين قدموا من سيراف (ذكر ذلك ابن المجاور في مخطوطة في باريس رقمها 6021).

كلمة عن نيسابور (ابراشهر، نوشهر):

كانت نيسابور مأهولة بالمعمرين البصريين (Colons) من القبائل: الليث وسُلَيْم وبني عامر وباهلة، وكان فيها من العرب من أصحاب القطائع (Apanages) من البيوتات والأسر التي تنتمي الى بني حنيفة والفضلية والشيشانية والقرشيين والتميميين والضبيين والذبيانيين

الذين قدموا جميعاً من البصرة. كما نجد بين ولاة نيسابور الربيع الحارثي (المتوفى سنة 53 هجرية الذي كان الحسن البصري كاتباً له) والليثي والحنفي والأموي والتيمُلي والأزدي (المهلّب) والباهلي والحرشيّ (القيسي) والكلابي والقسري والسُّلمي (مؤرخ الصوفية أبو عبدالرحمن السلمي) والهلالي والكناني؟

وفي نيسابور تجتمع أفواج الحجيج من البصريين متوجهة أنظارها نحو مكة.

وفي سنة 265هـ اجتمع وجهاء نيسابور يعضدهم جماعة من العُبّاد سُمُّوا «المطّوعة»، كما كانت الحال في البصرة، وقاموا بحملة على الطوائف الدنيا من العيّارين والجلاّدين والحجّامين الذين يدعون الى المشاركة في الملكية. وكذلك كان بنو مجاشع في نيسابور وقد كانوا قد قدموا من البصرة. وكان رئيس المتطوعين في نيسابور ذهلياً (ي. ف ابن محمد المتوفي سنة 267 هجرية). وكان صديق الصوفي أبو عثمان في الحيرة.

لقد اتخذت الجماعات البصرية من هذه المدينة حصناً منيعاً للمذهب السني ضد المذهب الشيعي المتعاظم شأنه في مدينة مشهد.

من كتاب «خطط البصرة ـ العلامة ماسينيون ـ ص 43 ـ 50»

❖ ❖ ❖

دور سريان العراق والشام
في النهضة الحضارية العربية

رغم العناوين الكبرى عن دور «الفرس» في صنع الحضارة الاسلامية، إلا أن تفاصيل التاريخ تكشف لنا مدى المبالغة والطنين المزيف عن دور الفرس، على حساب التجاهل والتحريف لدور المشارقة السريان من عراقيين وشاميين. لأنه بكل بساطة تم اعتبار هؤلاء السريان أجانب أعاجم لأنهم ليسوا «عرباً أقحاحاً»! هنا نورد مقارنة سريعة عن دور الفرس والهنود مقارنة بدور السريان في إحداث النقلة الحضارية الكبرى من خلال حركة الترجمة التي تمت في بغداد العباسية:

❖ الترجمة من اللغتين الفارسية والهندية

هناك ظاهرتان بارزتان في موضوع حركة الترجمة تستحقان الوقوف عندهما قليلاً لمعرفة أسبابهما. الأولى عدم الاهتمام بكتب تاريخ أمة اليونان وأبها، والثانية عدم النقل من التراث الفارسي والهندي إلا ما ندر. إن سبب عدم نقل شيء يستحق الذكر من كتب تاريخ اليونان وأدبها واضح، وهو أن ما يحتويه هذان الموضوعان من الأساطير بعيد عن العقلية العربية، وما يشوبهما من الوثنية وتعدد الآلهة يعتبر كفراً يخالف روح الإسلام. أما النقل من اللغة الفارسية فقد كان ضئيلاً جداً قليل الأثر. وسبب ذلك كما نرى، أن الفرس لم يكن لهم تراث طبي يستحق النقل لغلبة الطب اليوناني عليه. وان تراثهم الأدبي والتاريخي محشو بالأغاليط والخرافات والمبالغة مما لا يستسيغه العقل. يقول المؤرخ اليعقوبي: «فارس تدّعي لملوكها أموراً كثيرة مما لا يقبل مثلها، من الزيادة في الخلقة حتى يكون للواحد عدة أفواه وعيون، ويكون للآخر وجه من نحاس، ويكون على كتفي آخر حيّتان تطعمان أدمغة الرجال، وطول المدة في العمر، ودفع الموت عن الناس، وأشياء ذلك مما تدفعه العقول ويُجري فيه مجرى اللعبات والهزل، ومما لا حقيقة له». أما تراثهم الروحي فقد كان ثنوياً يقوم على الزعم بأن النور والظلمة أزليان، وذلك مما يعتبر شركاً في الإسلام. سبق أن أشرنا الى أن حركة الترجمة كانت بدأت بنقل الكتاب الهندي السد هانت في علم الفلك عند الهنود. وكانت ترجمت بعض الكتب في الرياضيات وبخاصة في الحساب.

أبرز المترجمين وما ترجموه من الكتب

لقد كانت حصيلة حركة الترجمة أن نُقل الى اللغة العربية واللغة السريانية كثير من كتب اليونان وغيرهم في الطب والفلسفة والرياضيات. وهي العلوم التي نالت اهتمام العلماء العرب آنذاك «بحيث لم يعد باقياً الشيء الكثير من العلم المعروف في عالم ذاك الزمن. ولم ينقل الى العربية». وقد أحصى ابن النديم والقفطي وابن أبي أصيبعة جانباً مهماً من تلك الكتب مع مترجميها مما تيسرت لهم معرفته. وفيما يأتي نذكر أبرز مترجمي القرن الثالث وأهم ما ترجموه من الكتب:

حنين بن اسحق

أبو زيد العبادي، كان ماهراً في الترجمة الى جانب مهارته في الطب. وقد انصرف الى ترجمة الكتب اليونانية وإخراجها باللغة العربية أو السريانية، إذ كان فصيحاً في اللسان اليوناني واللسان العربي «دخل الى بلاد الروم لأجل تحصيل كتب الحكمة وتوصل في تحصيلها غاية إمكانه، وأحكم اليونانية عند دخوله الى تلك الجهات، وحصل نفائس هذا العلم».

كان في بيت الحكمة قسم خاص بالترجمة، فأناط المأمون رياسته بحنين ليتولى شؤون الترجمة والإشراف عليها. وبلغ من حرص حنين واهتمامه بما أوكل إليه أن تولى بنفسه ترجمة عدد كبير من الكتب الى العربية أو السريانية، كما كان يعيد النظر فيما يترجمه غيره من النقلة ويصلحه، بحيث يمكن القول إن جميع ما ترجم في بيت الحكمة في عهد حنين قد عرض عليه وراجعه وأجرى فيه ما رآه ضرورياً من التصحيحات قبل صدوره.

وقد أولى المأمون حركة الترجمة عناية فائقة، فكان يتابع أعمال حنين ومن معه. ويقول ابن أبي أصيبعة أنه رأى عدداً من كتب جالينوس وغيره بخط الأزرق كاتب حنين وعلى بعضها هوامش بخط حنين باليوناني، على تلك الكتب علامة المأمون.

ويستدل من رسالة حنين أن ما ترجمه من كتب جالينوس الى السريانية جاوز المئة كتاب، وما نقل منها الى العربية تسعة وثلاثون كتاباً، وهي في الطب والفلسفة. ويتضح من قائمة ابن النديم بما ترجم من كتب جالينوس وشروحه على بعض كتب أبقراط، أن حنيناً ترجم أغلب الكتب الستة عشر التي يقرأها طلاب الطب على التوالي من كتب جالينوس.

وترجم حنين بن اسحاق من كتب أرسطو مايلي: كتاب قاطيغورياس (المقولات) الى اللغة العربية، وكتب باريارمانياس أو باريرمينياس (العبارة) الى اللغة السريانية، وقسماً من كتاب انولوطيقا الأول (التحليل) الى اللغة السريانية، وبعض أقسام من كتاب انولوطيقا.

ثابت بن قُرَّة

كان ثابت بن قرة الحرَّاني الرياضي الفيلسوف المتوفى سنة 288 ممن برعوا في الترجمة وبرزوا فيها. ويظهر من عدد الكتب واختلاف مواضيعها مما نقله الى اللغة العربية من اللغتين اليونانية والسريانية، انه كان يجيد هاتين اللغتين الى جانب اللغة العربية. يقول القفطي عنه: «وأما نقله من لغة الى لغة فكثير». ويقول ابن أبي أصيبعة: «كان جيد النقل الى العربية، حسن

العبارة، قوي المعرفة باللغة السريانية وغيرها». ويقول عنه المستشرق أوليري: «وهو عالم يعرف اللغة الاغريقية والسريانية والعربية». وجاء في تراث الاسلام عنه «كان ثابت يعرف اللغتين السريانية واليونانية اضافة الى العربية فترجم الكثير عن هاتين اللغتين الى العربية». وجاء في تراث العرب العلمي «كان ثابت يحسن الى جانب اللغة العربية اللغات السريانية واليونانية والعبرية، ولما عمل في نقل بعض الكتب من اليونانية أبدى كفاية عالية بحيث عدّ من كبار المترجمين».

اسحاق بن حنين

تعلم اسحق صنعة الطب ومارسها بمهارة فكان واحد عصره فيها. وكان يجاري أباه حنيناً في سعة معرفته باللغة العربية واللغتين اليونانية والسريانية، بل كان يزيد عليه فصاحة، وقد عمل معه في الترجمة فتميَّز بصحة النقل وجودته، إلا أن نقله للكتب الطبية قليل جداً بالنسبة الى ما نقله من كتب الحكمة. لحقه الفالج آخر عمره وبه مات في ربيع الآخر سنة 298.

حبيش بن الأعسم

هو ابن أخت حنين بن اسحاق وقد درس عليه صنعة الطب. وأتقن اللغتين السريانية واليونانية الى جانب اللغة العربية، وحذا حذو خاله في الترجمة من حيث الدقة وأكثر نقله من اللغة السريانية، وكان حنين يقدمه ويثني على نقله. وكان ممن ينقلون الكتب الى اللغة العربية لأبناء موسى بن شاكر. يقول عنه ابن أبي أصيبعة «هو ناقل مجود يلحق بحنين واسحاق».

قسطاً بن لوقا البعلبكي

كان بارعاً في علوم كثيرة منها الطب والفلسفة والهندسة والموسيقى، فصيحاً باللغتين اليونانية والسريانية وباللغة العربية، جيد النقل، وقد نقل عدداً من الكتب وأصلح نقولات كثيرة. دخل بلاد الروم وجمع عدداً من التصانيف القديمة وعاد الى الشام. ويقول أوليري أنه تعلّم في بلاد الإغريق ولذا امتاز بالترجمة. وقد استدعي الى العراق ليعمل في الترجمة. ويعتبر قسطاً من فلاسفة المترجمين ومن مترجمي بيت الحكمة المشهورين وقد عمل بمعية حنين بن اسحاق. توفي قسطاً في أرمينيا حوالي سنة 300.

متى بن يونس

أبو بشر من أهل دير قُنَّى، أحد الأديرة القريبة من بغداد، ودرس في مدرسة مار ماري التابعة لهذا الدير، عاش ببغداد ودرس كتب أرسطو في المنطق على ابراهيم القويري. واليه انتهت رياسة المنطقيين في عصره، وصنف عدداً من الكتب والتفاسير في المنطق، ودرس عليه هذا العلم عدد كبير من الطلاب، وكانت وفاته ببغداد سنة328.

ترجم أبو بشر الى اللغة العربية كتب أرسطو في المنطق والطبيعيات منها: كتاب انولوطيقا الثاني (البرهان) نقله من السريانية، وكتاب سوفسطيقا (المغالطة) نقله من السريانية، وكتاب أبوطيقا (الشعر) نقله من السريانية كذلك، وكتاب الكون والفساد بتفسير الاسكندر الأفروديسي، وكتاب الآثار العلوية، ومقالة اللام من كتاب الإلهيات.

أبو عثمان الدمشقي

سعيد بن يعقوب من أهل دمشق سكن بغداد واشتهر بها طبيباً في أواخر القرن الثالث، وكان منقطعاً الى أبي الحسن علي بن عيسى وزير المقتدر بالله، وقد أناط به رياسة البيمارستان الذي أسسه في سنة 302 في محلة بالجانب الغربي من بغداد وأنفق عليه من ماله، ثم أضاف الى أبي عثمان رياسة جميع البيمارستانات في بغداد ومكة والمدينة. ولأبي عثمان الدمشقي عدد من التصانيف الطبية، وكان من النقلة المجيدين الى اللغة العربية. وذكره ابن النديم في قائمة المترجمين. وكان فصيحاً باللغتين اليونانية والعربية معتمد النقل.

نقل الى العربية مقالات من أصول الهندسة لإقليدس، وكتاب طوبيقا من ترجمة اسحق بن حنين الى السريانية. كما نقل قسماً من السماع الطبيعي، وكتاب الكون والفساد من الترجمة السريانية، وكتاب المدخل الى القياسات الحملية لفرفوريوس.

عيسى بن يحيى بن ابراهيم

أحد تلاميذ حنين بن اسحاق، وقد درس عليه صنعة الطب، وعمل معه في الترجمة في بيت الحكمة، وكان من الناقلين المجودين من اليونانية الى اللغة العربية وقد أثنى حنين على نقله، وكان عيسى يقلده في الترجمة، وله مصنفات في الطب.

ساهم عيسى بن يحيى في حركة الترجمة مساهمة فعالة فنقل عدداً من الكتب من اليونانية أو مما ترجم منها الى السريانية. ومما نقله الى اللغة العربية: كتاب السبعين مقالة للطبيب اليوناني أوريباسيوس، من اللغة السريانية. ونقل مما فسره جالينوس من كتب أبقراط: كتاب

عهد أبقراط وكان حنين نقله الى السريانية وأضاف اليه، فترجمه عيسى بالاشتراك مع حبيش، وكتاب الأمراض الحادة، وكتاب الفصول، وكتاب الأخلاط. وفسّر القسم السادس من كتاب ابيذيميا، كما فسّر كتاب طبيعة الانسان وكان حنين قد نقل نصه الى العربية.

اصطفن بن بسيل

من الكتّاب النحارير الحاذقين في الترجمة ممن عينهم المتوكل على الله ليعملوا بمعية حنين بن اسحاق عندما أناط به رياسة بيت الحكمة. ويظهر أنه كان جيد النقل، يقارب في نقله حنين بن اسحاق ولو أنه كان دونه فصاحة.

من كتاب «معالم الحضارة العربية ـ أحمد عبد الباقي ـ ص 272 ـ 286».

❖ ❖ ❖

أهمية الترجمة السريانية في النهضة الحضارية

نكمل موضوع الترجمة بايراد هذا المقطع الذي يتحدث عن تأثير حركة الترجمة التي لولاها لما تفجرت الحركة الحضارية الكبرى في العصر الاسلامي. ومن جملة التأثيرات التي يتجنب الحديث عنها مؤرخونا المعاصرون هو التأثير اللغوي والعقلي الذي انتقل من اللغة السريانية الى اللغة العربية. والسبب منطقي جداً: ما دام جميع المترجمين كانت السريانية هي لغتهم الأم وهي لغة شقيقة للغة العربية، إذن فمن المعقول جداً أن يعتمد هؤلاء السريان على لغتهم السريانية في صياغة الترجمة العربية التي كانت لغة محدودة بالمفردات الصحراوية والشعرية. على هذا الأساس فإن اللغة العربية ما أصبحت لغة علمية فلسفية حضارية إلا بالاقتباس الكلي من اللغة السريانية بمفرداتها وجملها وبلاغتها. ومن الغباء أن يركز مؤرخونا المعاصرون على بعض المفردات الفارسية التي دخلت العربية لتبرير الحديث عن تأثير الفرس، بينما يتم تناسي التأثير الحاسم للسريانية على العربية، وذلك بسبب جهلهم للوجود السرياني في العربية، ولأن السريانية شقيقة للعربية ومن الصعب تحديد التأثير، كما لو نضيف اللون الأزرق الغامق على اللون الأزرق الفاتح، فيصبح لوناً واحداً، هو الأزرق:

❖ أهمية حركة الترجمة:

كان لحركة الترجمة ـ التي أولاها الخلفاء في بغداد وسامراء رعاية خاصة وشجعها رجال الدولة العربية وأعيانها، فنشطت وازدهرت في خلال القرن الثالث ـ أهمية خطيرة في مسيرة

الحضارة العربية. فقد ساعدت العلماء والدارسين على أن يتعرفوا على ثقافة الأمم السابقة وعلومها، في حقول الفلسفة والطب والرياضيات والفلك وأحكام النجوم وغيرها، وأن يلموا بها وينهلوا منها مما وسَّع آفاق تفكيرهم العلمي بما يناسب المستوى الحضاري الذي وصلوا اليه.. فأفادوا منها كثيراً في مختلف العلوم وبخاصة في الطب والفلسفة وعلم الفلك. فقد استفاد الأطباء مما اطلعوا عليه من كتب التشريح العديدة مما ترجم لأبقراط وجالينوس وغيرهما، لأن الدين الاسلامي لا يبيح المثلة بالانسان حياً أو ميتاً. فكانت هذه الترجمات خير ما وضح لهم مبهمات هذا الموضوع. كما أخذت مصنَّفاتهم الطبية تعكس جوانب عديدة من الطب اليوناني. فإن ما صنفه يوحنا بن ماسويه، وحنين بن اسحاق، وأبو بكر الرازي، وغيرهم من علماء الأطباء، كان متأثراً بما جاء في كتب جالينوس الى حد كبير.

كذلك انتفع رجال الدين وبخاصة علماء الكلام منهم، بكتب الفلسفة والمنطق والجدل. وقد ظهرت آثار ذلك على عدد غير قليل منهم. وكان علماء المعتزلة أكثر استفادة من غيرهم فصاروا أقدر على الجدل والمناظرة. وغدا تأثير الفلسفة اليونانية ومنهجها واضحاً في تفكير رجال مختلف المذاهب الاسلامية وأعمالهم. وكان الكندي فيلسوف العرب يحذو حذو أرسطو في منهجه الفلسفي وفي تصانيفه الفلسفية.

ومن النتائج المهمة الأخرى لحركة الترجمة أن ظهرت حركة تأليف في بعض فنون المعرفة. فقد بدأ المترجمون يضعون الرسائل والكتب ليستعملها الطلاب، وهي بشكل ملخصات في شتى أنواع العلوم وبخاصة الطبية منها. ثم ما لبثت هذه الحركة أن توسعت بين العلماء العرب الذين أخذوا يكتبون على أسس متينة من المعرفة. فقد ظهرت في الطب والفقه والتاريخ واللغة مثلاً، كتب كثيرة وبعضها بعدة أجزاء بحيث كان بعضها أشبه بالموسوعات. كما كان المؤلف الواحد يصنف عشرات الكتب في مختلف المواضيع مدلّلاً على سعة معرفته وتفننه بمختلف العلوم. فقد صنف الكندي ما يزيد على 250 كتاباً في الفلسفة والجدل والمنطق والرياضيات والفلك والطب والسياسة وغيرها. وقد دلّل في أكثرها على اطلاع واسع ومعرفة عميقة. وصنف محمد بن زكريا الرازي عميد الأطباء ما يزيد على 230 كتاباً في الطب والصيدلة والكيمياء والفلسفة والرياضيات والفلك وأحكام النجوم وغيرها. وهي أيضاً تدل على سعة علمه وعمق تفكيره. وصنف ثابت بن قرة الرياضي الفيلسوف ما ينيف على السبعين كتاباً في فنون مختلفة.

ولم تقتصر حركة التأليف ووفرة ما صنف من الكتب على المواضيع التي عالجها الفلاسفة والأطباء والرياضيون فحسب، بل تناولت العلوم القرآنية من تفسير وقراءات، وعلوم

الحديث، وعلوم الفقه والكلام. اضافة الى ما صنف في التاريخ والجغرافية وأحوال البلدان. أما في ميدان اللغة والشعر والأدب عامة فقد نبغ شعراء مفكرون مجددون الى جانب أساتذة الأدب واللغة المتقدمين. فإن ما صنفه الطبري وابن قتيبة والجاحظ وأبو حنيفة الدينوري، وغيرهم من علماء هذا القرن وأدبائه لجدير بالاعجاب سواء من حيث كميته أو نوعيته. ولكن مما يؤسف له أن هذا العدد العظيم من الكتب المصنفة والمترجمة لم يصلنا منه سوى النزر اليسير، إذ ضاع القسم الأعظم بفعل عوادي الزمن المختلفة، ولم يبق من تلك الكتب سوى عناوينها وأسماء مصنفيها بفضل محمد بن اسحاق المعروف بابن النديم المتوفى سنة 380 في كتابه القيم «الفهرست».

«نفس المصدر السابق ـ ص 286ـ287».

❖ ❖ ❖

تأثير الديانة العراقية على المجوسية

كثيراً ما تُنسب الى ايران وديانتها الزرادشتية تأثيرات مبالغة على مذاهب أهل العراق الاسلامية وقبل الاسلامية، لكن المصادر التاريخية تتفق على العكس، أي التأثير الحاسم لحضارة العراق على ايران في جميع المجالات اللغوية والعلمية والفنية والدينية. هنا مثال على تأثير ديانة العراق على الديانة الزرادشتية.

❖ «لقبه ملك الملوك أو الملك الأكبر (شاهَنْشاه). اختير دائماً من أسرة الأخميديين. وهي زعيمة عشائر الفرس. يتول الحكم بالوراثة إلا في حالات استثنائية (داريوس خلف قمبيز). ولم يتخذ الملك صفة الإله كما في مصر، بل اعتبر نفسه ممثلاً للإله «أهُوْرَا مَزّدا». ولما ضَمَّت دولتهم بلاد ما بين النهرين اعتبر نفسه ممثلاً للإله «مردوخ»، ولما أخضعوا مصر اعتبر نفسه ممثلاً للإله «أَمُون ــ رَعْ». لا بل أمر بأن تقام أنْصاب تمثله متعبداً للإله «أمون ـ رع». فلم يكتف الفرس إذن بالاقتباس بل حاولا التكيّف أيضاً. تعبد الفرس للإله «أهُوْرَا مَزْدا»، فعُرِفَتْ ديانتهم باسم «المزْدِيّة». واقتبسوا من بلاد ما بين النهرين الاعتقاد بوجود «الأرواح». ولما برز المصلح «زرادشت» أعطاها مفهوم «التوحيد» ونقلها الى مرحلة التطبيق الأخلاقي.

وما لبثت تأثيرات ما بين النهرين أن اعترتها وساد الاعتقاد بوجود «الأرواح». فمنها «الأرواح الصالحة» التي تحيط «بأُرمُزْد»، ومنها «الأرواح الشريرة»، وعلى رأسها إله الشر والظلام «أهْرِيمان». والصراع بين «أُرْمُزد» و«أهْريمان»، أو بين الأرواح الصالحة والأرواح الشريرة مستمر».

من كتاب «الحضارات ـ لبيب عبد الساتر ـ ص 68ـ69».

❖ ❖ ❖

حضارة بين النهرين وتأثيرها على الحضارات الأخرى

❖ «إن أهم ظاهرة برزت في حضارة بلاد ما بين النهرين هي ظاهرة ازدهار مجموعة حضارات تابعة للعالم الذي يحيطها، وكانت تلك الحضارات التابعة مولدة في النوع مع عناصر حضارة بلاد ما بين النهرين بسماتها القومية وسيطرتها الواضحة بحيث انه من الصعب اكتشافها وعزلها في سبيل القيام بدراسة خاصة لها. ومن تلك الحضارات هي الحضارة العيلامية بعاصمتها سوسة (الاحواز)، والحضارة الأوراتية في موصاصير (ارمينيا)، والحضارة الحثية بعاصمتها الأناضولية ختوشا (تركيا).

أخيراً، يجب الاهتمام بدور مصر الهيلنستية باعتبارها نقطة انتشار أفكار بلاد ما بين النهرين: التي نقلت التنجيم وعلم الفلك البابلي من مصر الى الغرب، وان هذا يوازي انتشار الفن الآشوري ـ عبر آسيا الصغرى الى اليونان ويوازي كل ممارسات القصر الآشوري غير الممارسات الفارسية والساسانية الى البيزنطيين ومن ثم الى أوربا. إن الشيء الذي لم يكتشف بعد هي الاتصالات فيما بين بلاد بابل الهيلنستية والهند بل حتى الشرق الأقصى».

من كتاب «بلاد ما بين النهرين ـ ليوا وينهايم ـ ص 83ـ89».

❖ وجاء التنجيم الى الغرب من بابل، وشجع عليه الموسوعي الرواقي «بوزيدونيس posidonius» فقد كان الرواقيون والأفلاطونيون في صف التنجيم، في حين كان الأبيقوريون والمسيحيون ضده، وتفترض نظرية التنجيم وجود علاقة بين الناس والنجوم «فنحن نشارك الكواكب في القدرات والمشاعر» ولما كان مسار «زحل» بطيئاً، فقد اعتقدوا أنه يجعل الناس

كسالى، أما كوكب الزهرة فهو المشرف على الحب، في حين أن كوكب المشتري Jupiter يهب الناس القوة، وعطارد يبارك التجارة، وارتبطت الأفعى بإله الشفاء، والبرج الذي يحمل هذا الاسم يساعد على الشفاء، وكان التنجيم شبه علم، كما كان حساب خرائط البروج عملاً معقداً. وكان يطلق على المنجمين لقب الرياضيين Mathematici.

وانفجرت الحركة في عهد تيبروس Tiberius الذي اعتكف في كابري ومعه (حشد من البابليين)».

من كتاب «المعتقدات الدينية لدى الشعوب ـ جفري بارندر ـ ص 127»

❖ ❖ ❖

اسطورة «علم الانساب» العربي

ان إدعاء معظم سكان العراق والشام وباقي البلدان العربية بالنسب العربي والانتماء للقبائل العربية النازحة من الجزيرة يبدو واهياً واسطورياً لأنه اعتمد على ما يسمى بـ«علم الأنساب» الذي لا زال يعتمد عليه الكثير من المثقفين والمؤرخين القوميين. لكن اية نظرة سريعة لهذا «العلم» تفضح لنا هشاشته وسذاجته واسطوريته!

❖ قال في العقد الفريد: ونوح النبي عليه السلام وهو ابو البشر الثاني عليه الصلاة والسلام، لان ما قبله من اولاد آدم لم يبق لهم نسل من بعد الغرق بالطوفان، فالباقون من نسل نوح. قال الله تعالى: ﴿وجعلنا ذريته هم الباقون﴾.

ولنوح عدة اولاد: سام وحام ويافت. فأولاد سام: العرب وفارس والروم. وأولاد حام: السودان والبربر والقبط. وأولاد يافت: الترك والصقالبة وياجوج وماجوج.

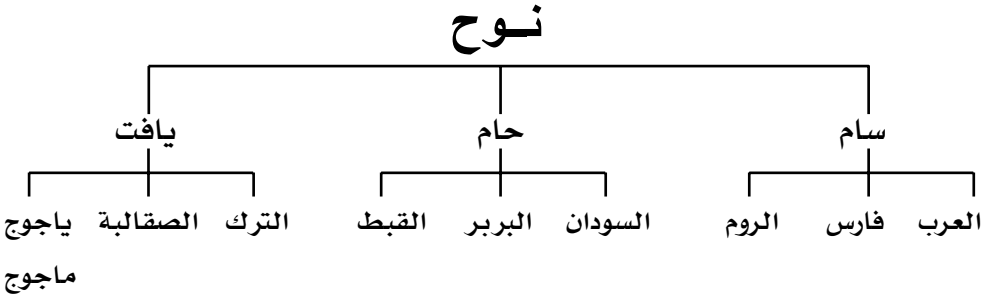

وذكر ابن الاثير في تاريخه ذرية نوح عليه السلام، قال وهب ابن منبه: ان سام بن نوح ابو العرب وفارس والروم. وحام بن نوح ابو السودان. ويافث بن نوح ابو الترك وياجوج وماجوج. وقيل القبط من ولد قوط بن حام. قال ان امرأة سام بن نوح صلب ابنه بتأويل بن محول ابن اخنوخ بن قين بن آدم. قال واما يافت فله من الولد جامر ومومع ومورك وبوان ونوبا وماشح وتيرش. فمن ولد جامر ملوك فارس في قول، ومن ولد تيرش الترك والخزد. ومن ولد ماشج الاسبان. ومن ولد مومع ياجوج وماجوج. ومن ولد بوان الصقالبة وبرجان».

«من كتاب انساب العرب ـ سمير القطب ـ ص 321»

❖ ❖ ❖

مشكلة نقل الجنائز الايرانية الى العراق

هذه الحكاية المحزنة والطريفة تكشف عن مدى تعلق الإيرانيين روحياً وتاريخياً بأرض العراق:

❖ مشكلة نقل الجنائز:

انتهز مدحت باشا فرصة زيارة الشاه ففاوضه حول بعض المشاكل التي كانت قائمة بين البلدين إحداها كانت مشكلة نقل الجنائز.

والواقع أن مشكلة نقل الجنائز كانت من المشاكل المستعصية التي أدت الى الضرر الفادح بالفرد والمجتمع، فقد كان الإيرانيون يحرصون كل الحرص على نقل موتاهم الى العراق لدفنها في النجف، فكانت الجثث تتعفن في الطريق لطول المسافة، وكثيراً ما كانت سبباً في نقل الأمراض والأوبئة الى العراق. وقد تم الاتفاق بين مدحت باشا والشاه على أن لا يسمح بدخول الجنائز الايرانية الى العراق إلا بعد مرور سنة واحدة على الوفاة.

كان القصد من هذا الاتفاق أن يجري دفن الموتى في المقابر المحلية في ايران مؤقتاً لمدة سنة واحدة وهو ما يعرف عندهم بـ «الأمانة»، حتى إذا انتهت السنة جاز نقل الجثث الى العراق، وهي عندئذ ليست سوى عظام جافة لا لحم عليها، وبذلك يمكن تجنب الضرر الناتج عنها. وقد وضعت الحكومة العثمانية على الحدود الايرانية موظفين صحيين يراقبون نقل الجنائز ويفحصونها لكي لا تكون «طرية».

ظن مدحت باشا حين عقد هذا الاتفاق مع الشاه أن المشكلة حُلَّت حلاً نهائياً واستراح الناس منها، وقد تبين فيما بعد أن ظنه هذا كان خاطئاً من بعض الوجوه. ذلك أن بعض

الايرانيين لجأوا الى «التهريب» في نقل جنائزهم فأدى هذا الى ظهور مشكلة ربما كانت أشد ضرراً من المشكلة الأولى.

ظهر في بعض المدن الايرانية أشخاص اختصوا بتهريب الجنائز وكأنهم جعلوا ذلك مهنة لهم، فهم يأتون بجثة الميت فينتزعون عنها اللحم بالسكين والحجر ثم يرشون على العظام مقداراً من النورة والزرنيخ ويتركونها معرضة للشمس والهواء حتى تصير كأنها مدفونة تحت التراب مدة طويلة. وتُحمل هذه العظام في صندوق خاص بها، أما اللحم فيحمل في كيس حتى إذا وصل أصحاب الجنازة الى النجف جمعوا اللحم والعظام ودفنوها معاً في قبر واحد بعد أن يقرأوا الفاتحة والأدعية المناسبة طبعاً!».

من كتاب «تاريخ العراق ـ ج 1 ـ علي الوردي ـ ص 259ـ261».

❖ ❖ ❖

نماذج من عقلية تفريس الحضارة العراقية

إن عملية «التفريس» للحضارة العراقية والعربية وصلت الى حد الهوس المرضي وتحويل «العروبة» الى نوع من «القومية المازوشية» التي تتلذذ باحتقار الذات. وهذا نموذج من هذه الطروحات العجيبة التي تعودنا قراءتها من دون أي استغراب، بقلم دكتورة عروبية جداً، لاحظ أنها اعتبرت كل شيء غير (عربي قح) هو فارسي، حتى حُب الورود وتنوع الثياب والخمرة واللهو وارتياد البساتين:

❖ «وإذا أردنا أن نعطي للقارىء صورة واضحة عن الحياة في ذلك العصر كانت بغداد هي المكان الملائم لإعطاء مثل هذه الصورة، فقد ازدهرت فيها الحضارة ازدهاراً رفيعا، واحتشدت قصورها بالجواري والقيان والغلمان وانتشرت فيها مجالس اللهو والشراب، وغصت بأنواع من الأجناس المختلفة نتيجة للفتوح والسبي، وكان لكل من هذه الأجناس صفاته ومميزاته الخاصة، ولكن الطابع القوي الذي ساد هذه الأجناس جميعاً هو الطابع الفارسي، فتغلغلت العادات الفارسية في النفوس، وأصبح تقليدها أمراً محبباً حتى قال المقريزي «فسموا عوائد العجم أدباً، وقدموها على السنة» ويكفي أن نتأمل عادات الشعوب في ذلك العهد لنرى مصداق هذا القول، فنجد المنصور سنة 153هـ يأمر الناس بارتداء الملابس الطويلة المفرطة الطول، وهي زي فارسي ـ وقد انتشر ارتداء القلانس صيفاً وشتاء، وكان الناس يلبسونها إذا مثلوا بين يدي الخلفاء والأمراء والعظماء تعظيماً وتبجيلاً لهم كما أحدث

المنصور عادة تقبيل الأرض بين يدي الخليفة وهذا أصدق شاهد على تطور العادات في هذا العصر إذ لم يكن العربي المعروف بأنفته وكبريائه يرضى بمثل هذا في العصور السابقة. واقتبس العرب من الفرس تنويع الأزياء بحيث يكون لكل طبقة زي خاص تعرف به، فكان للخلفاء رداء خاص للرأس (عمامة) وللفقهاء عمامة، وللأعراب، حتى اللصوص كانت لهم عمامة... وكان أصحاب السلطان على مراتب، ولك مرتبة زي، وكان الشعراء يلبسون الوشي والمقطعات والأردية السود. وفي هذا العصر ظهر التأنق في الملبس حتى أصبحت هناك فئة خاصة تعرف بالتأنق والتظرف وتتخذ العادات الفارسية في المأكل والمشرب وآداب المائدة والكرم والضحك والتعطر والتطيب وحبهم للورد ومدحهم إياه وكانوا يشترون أزياءهم من خراسان ونيسابور، وقد غالوا في تطرفهم الى حد الزندقة والكفر. وكان في طليعة جماعة المتطرفين الشاعران الفارسيان أبو نؤاس وبشار بن برد.

وما زال الفضل بن سهل بالمأمون حتى أقنعه بتغيير السواد بالخضرة وأن يكتب الى جميع أعماله كي يجعلوا أعلامهم وملابسهم خضراً. وكان الخضرة هي لباس كسرى والمجوس.

وكان للفرس أثر كبير في انتشار مجالس اللهو بين العامة وكذلك في انتشار المجون والخلاعة، وقد حفل ذلك العصر بالماجنين وأشهرهم الحمادون الثلاثة ومطيع بن إياس، وصالح بن عبدالقدوس، ووالبة بن الحلباب وعمارة بن حمزة بن ميمون وغيرهم كثير من العرب والفرس.

ونلاحظ من ناحية أخرى أثر الفرس في فن العمارة العربية، وهو فن اشتهر به الفرس في ذلك العهد شهرة واسعة، وقد اشتهرت القصور التي شيدها المنصور كقصري الذهب والخلد، وكذلك القصور التي بناها الرشيد على نهر دجلة والقصر الهاروني الذي بناه الواثق؛ واشتهرت هذه القصور بفخامتها وروعتها ووضوح الأثر الفارسي فيها.

وكان شغف العرب بالبساتين في ذلك العصر عادة فارسية، وكذلك اهتمامهم بالأزهار وتزيين موائدهم وثيابهم بها وتغزلهم فيها.

وانتشر بين الشعب والخلفاء لعب النرد وهو من وضع الفرس والشطرنج وهو من وضع الهند. وكان الغناء مطبوعاً بالطابع الفارسي إذ كان أغلب المغنين من الفرس وعلى رأسهم ابراهيم الموصلي ويرجع أصله الى بيت كبير من العجم ويليه في الشهرة ابنه اسحاق، وكتاب الأغاني مليء بأخبارها.. وهما لم يشتهرا بالغناء فحسب، بل جمعا الى ذلك الاطلاع الواسع

في الشعر والأدب وأدخلا من التجديد في فنون الغناء وآلاته وموازينه المأخوذة عن الفرس. وكان ينافسهم في البلاد المغني العربي القرشي المشهور ابن جامع وطالما حدثت منافسات وخلافات بينه وبين ابراهيم الموصلي كان يتحزب فيها رجال البلاط.

وكان ابن جامع يتزعم مدرسة الغناء الحديثة ـ الفارسية ـ بينما كان يتزعم المدرسة العربية القديمة الفارسي ابراهيم الموصلي فأصبح الغناء في ذلك العصر فناً رفيعاً وأصبح الناس ينظرون الى المغني نظرتهم الى أديب فنان، وهذا التقدير هو الذي دفع أحد الأمراء العباسيين الى الغناء دون أن يكون في ذلك منقصة له، ونعني به ابراهيم بن المهدي بن المنصور، فقد نازع أشهر المغنين وتفوق عليهم في كثير من الأحيان. وقد قلده في هذا المضمار كثيرون من أمراء البيت العباسي.

ولكن فضل الأعاجم في ميدان الغناء كان يقابله إساءتهم الى اللغة العربية حيث انهم وإن أغنوا اللغة العربية التحريرية غير انهم أفسدوا اللغة اللسانية بما أدخلوا عليها من لحن ولئغ، وخاصة في لغة الكلام والمخاطبة، ويروون ان عبدالله بن الأهثم مر ذات يوم بقوم من الموالي وهم يتذاكرون النحو فقال «لئن أصلحتموه، إنكم لأول من أفسده». ويقول الجاحظ أيضاً ان الفرس قد أدلوا اللكنة في اللغة العربية وانهم كانوا في كلامهم يلحنون «ولولا طول مخالطة السامع للعجم وسماعة للفاسد من الكلام لما عرفه».

وذكر ابن قتيبة أنه دخل أعرابي السوق فسمعهم يلحنون فقال «سبحان الله يلحنون ويربحون. ونحن لا نلحن ولا نربح».

وإذا أراد العربي أن يتملح أدخل في شعره أو كلامه شيئاً من الألفاظ والتعبيرات الفارسية وهكذا طعمت اللغة العربية باللغة الفارسية، وكان العامة والخاصة يستشهدون بأقوال حكماء الفرس وسير ملوكهم وسياستهم وأخبارهم، كما ترجمت كثير من كتبهم وأشعارهم الى العربية.

رأينا فيما سبق كيف تأثر الشعب في حياته الاجتماعية بالعادات والتقاليد الفارسية، غير ان هذا التأثير يظهر بشكل واضح في بلاط الخلفاء الذين ساروا في حياتهم الخاصة والعامة على نهج الأكاسرة فأغرقوا في الترف وأكثروا حولهم من مظاهر الأبهة والعظمة، وأحاطوا أنفسهم بحاشية كبيرة ونصبوا على أبوابهم الحجاب.. الى غير ذلك مما هو غريب عن العرب وحياتهم القاسية الخشنة. ومن الحق ان البلاط الأموي كان زاخراً بمثل تلك المظاهر، وكان الخلفاء الأمويون كلهم يشربون ويعقدون مجالس اللهو والغناء ما عدا عمر بن عبدالعزيز. وكان بلاطهم

صورة مصغرة لما صر عليه البلاط العباسي الذي كثرت فيه مجالس الشراب ولم يعد الخلفاء الذين كانوا جميعاً يشربون ويسمرون ما عدا المنصور يجدون حرجاً في الشرب واللهو. وهذه كلها عادات كسروية. وعلى ذلك نرى أن الأمر في الحياة الاجتماعية صار على ذلك النحو الذي وصفناه، فكان الترف والبذخ وما يستتبعهما من استهتار ومجون هما الطابع السائد في ذلك العصر. ولقد بينا بما لا يدع مجالاً للغموض الأثر الفارسي في مثل هذا الطور من أطوار الحضارة، ورأينا كيف اتخذ الخلفاء والأمراء السواد الأعظم من الشعب الحياة الفارسية مثلاً يتبع وأسلوباً جميلاً من أساليب الحياة، وفي ذلك انتصار ـ أي انتصار ـ للشعوبية ولكننا نستطيع أن نقول انه انتصار سهل لم تبذل فيه الدماء ولم تزهق فيه الأرواح. إذ كان التقليد هنا غالباً على الصراع وترك العرب الشعوبية تغزوهم في هذه الناحية بمحض اختيارهم وملئ إرادتهم».

من كتاب «الشعوبية وأثرها الاجتماعي ـ الدكتورة زاهية قدورة ـ ص 188ـ198».

الشعوب الآسيوية والجبلية تمتزج بسكان النهرين

إن طبيعة النهرين السهلية والخصبة ظلت دائماً مصهراً إنسانياً لمختلف الشعوب الأسيوية الرعوية والسامية البدوية. تمتزج وتذوب في سكان النهرين وتتبنى حضارتهم وتسهم بتطويرها، من دون أي صراعات عرقية وحروب أهلية على خلاف بعض الأوطان التي ظلت الصراعات الدينية والعرقية هي الطاغية على تاريخها.

❖ «دخلت أرض النهرين عبر ممرات الجبال الشرقية والشمالية موجات غازية من الأقوام والشعوب الجبلية والتي اختلطت بسكان بلاد النهرين والشرق العربي عامة اختلاطاً واسعاً وتركت آثارها في شمال العراق، في نوزي بالقرب من كركوك وهي أهم مراكز الحضارة الحورية، وكونت في الامبراطوية الميتانية الطبقة الأرستقراطية العسكرية المعروفة باسم ماريانو، وقد شاركت في تكوين حضارة البلاد وثقافتها وبخاصة في الفنون التشكيلية من نحت ونقش وأختام.

وقد هاجم بعض هذه الشعوب دول بلاد النهرين وعمل على تقويضها. فقد أضعف صراع الملوك الأكديين مع الكوتيين (الغوتيين)، واللولوبين مملكة أكّد وأدى الى انهيار الحكم الأكّدي (أواخر الألف الثالث). وعمل العيلاميون والكاشيون على تدمير الدولة البابلية الأولى. ودخل الحثيون المسيطرون على آسيا الصغرى في حروب مريرة مع الآشوريين في أواخر الألف الثاني ق.م وكذلك الأوراتيون الذين شكلوا مملكة هامة حول بحيرة وان في الألف الأول ق.م.

أما اتحاد القبائل الايرانية بزعامة الميديين فقد عمل على تقويض أركان الامبراطورية الآشورية 610 ق.م في حين أدى توحيد الفرس والميديين بزعامة قوروش الى اختلال ميزان القوى في آسيا الغربية والى قيام صراع بين فارس وبابل انتهى بسقوط بابل بيد الفرس عام 539 وبزوال آخر دول بلاد النهرين في العصور القديمة.

لقد عاشت هذه الشعوب القديمة في بلاد النهرين وهي مختلفة الأصول واللغات في تفاعل وتبادل مستمرين وقامت بينها صلات في السلم والحرب تمثل وقائعها صحائف التاريخ القديم. فقد سعى الرحلّ من البدو والرعاة الجبليين لاحتلال المناطق الخصبة والسيطرة على السهول وطرق القوافل. ولكن في البيئة الزراعية وفي وديان الأنهار قامت المجتمعات الحضرية المستقرة، مجتمعات الفلاحين والصناع والتجار في القرى والمدن. وفي هذه المجتمعات المدنية حل الانتماء الى المدينة والمعبد محل الانتماء الى القبيلة. وعندما خط الناس طرق المواصلات والقوافل التجارية والجيوش اشتدت قوة الحكومات واتسعت سلطة الدولة وقامت الممالك الكبيرة والامبراطوريات، جرى تنقل السكان ونقلهم على نطاق واسع حاملين معهم لغاتهم وثقافاتهم وعاداتهم. ومن هنا يمكن القول إننا عندما نتكلم في التاريخ القديم عن السومريين والبابليين والآشوريين والآراميين، فإننا لا نعني بذلك عروقاً، بل مجتمعات سياسية مدنية. فعندما تظهر الدولة وتتلاشى العروق ضمن الشعوب المكونة لها. أما استمرار العوامل العرقية بعد إنشاء الدولة فإنه يكون مدعاة لضعفها وربما لانهيارها.

إننا سنرى عند دراستنا لتاريخ دول بلاد النهرين أنه لم يقم فيها في تاريخها الطويل صراع عرقي. فالعوامل الاقتصادية والاستراتيجية هي التي كانت أكبر تأثيراً في تحرك الدول وفي إثارة الغزوات والحروب. وعلى الرغم من العنف الذي رافق تقلب الدول والسلالات الحاكمة، فقد قامت في بلاد النهرين حضارة مشتركة أسهم في صنعها السومريون والأكّديون والآشوريون والبابليون وغيرهم.. ولم تكن هذه الحضارة إلا جزءاً من حضارة الشرق العربي القديم كله. وفي تحليل مكونات هذا التراث الحضاري العظيم ليس بالمستطاع دائماً أن نحدد دور كل مجتمع من المجتمعات. فأين ينتهي جهد السومريين، وأين يبتدىء دور الأكّديين؟».

من كتاب «دول وحضارات في الشرق ـ عيد مرعي ومحمد فرزات ـ ص 60ـ61».

❖ ❖ ❖

عودة «الشعوبية» الى التاريخ الحديث

هذه لمحة تكشف عن كيفية إعادة استخدام المفاهيم التاريخية بعد قولبتها المعاصرة من أجل أهداف سياسية طائفية عنصرية. علماً بأن هذه العنصرية الطائفية لم تكن حكراً على أهل السنة بل اشترك بها الجميع من مسيحيين وشيعة وغيرهم: فكما تبين لنا هذه اللمحة أن أحد منظري «الشعوبية» الجديدة هو السيد هاني الفكيكي أحد قادة حزب البعث التاريخيين وهو من أصل جنوبي شيعي، لكن أصله الشيعي لم يمنعه من الاشتراك بحملة العداء للشيعة باسم مكافحة الشعوبية الجديدة. علماً أنه نفسه اعترف فيما بعد في مذكراته بأنه كان ضحية للعنصرية الطائفية التي حدثت في حزب البعث وأدت الى طرده من قبل المجموعة العسكرية «السنية»:

❖ مبحث جانبي: الجدل حول الشعوبية

«لقد عادت الشعوبية في القرن العشرين مرة أخرى بأساليب أخرى وأهداف أخرى»
(صبحي محمد جميل، عميد قسم الدراسات الإنسانية ـ جامعة بغداد)

«إن من لم يعتقد بأن الجنس العربي هو الأفضل فهو شعوبي آثم»
(خير الله طلفاح، خال وصهر صدام حسين)

لقد أثارت النزاعات بين القوميين العرب والشيوعيين العراقيين قضية الطائفية السياسية في العراق مجدداً. ولم يكن التحليل العقلاني لاتجاه بعض الجماعات العرقية والمذهبية نحو حركات سياسية بالذات ليجد إصغاء في خضم هذه المعركة الضارية. لقد أدت الحقيقة التي تقول بأن الحزب الشيوعي وجد حتى في الثورة أنصاراً من الشيعة، وأن الرضى ــ وهو السكرتير العام ــ كان من أصل شيعي وتوصل الى أن يساوي الحزب الشيوعي بالشيعة، وذلك ليس في العراق فقط بل في بلاد عربية أخرى، وكذلك أدت هذه الحقيقة الى استعادة مصطلح كان قد طواه النسيان منذ عدة قرون والى استخدامه سياسياً وهو مصطلح «الشعوبية». ولقد اعتبر الكثير من القوميين العرب صراحة أو تلميحاً المصطلحات الثلاثة: الشيوعية، والشعوبية، والشيعة، مترادفات، إلا أن الشيعة قد كانوا ممثلين في الحياة السياسية جميعها كما كان الحال قبل الثورة. ولقد اكتسب مصطلح الشعوبية معنى خاصاً في عراق ما

بعد الثورة. ولقد حاول القوميون العرب باستعادتهم لمصطلح من العصور الوسطى الإسلامية أن يقذفوا خصومهم (الشيوعيين وقاسم) بأنهم خصوم للعروبة.

وعلى العكس من ذلك كان الفكيكي قد أوضح حينما كتب بعنوان «الشيوعية المحلية قمة للشعوبية وامتداد لها» يقول:

«في تلك المرحلة (بعد الحرب العالمية الأولى) من حياة الشعب العربي كانت الشيوعية ظاهرة جديدة في الوطن العربي. وحاول الشعوبيون عن طريقها ان يصلوا الى أهدافهم. ويؤكد هذا القول حقيقة أن قيادة الأحزاب الشيوعية قد أوكلت بانتظام لأعداء العروبة ووحدة العرب من هؤلاء العجم الممتلئين كرهاً».

وشهد هذا المصطلح نهضة جديدة له بعد الثورة الايرانية وبعد اندلاع الحرب العراقية الايرانية 1980، وتقابلنا بين الكتاب العراقيين أيضاً ثلاثة عناصر كان الكتاب السابق ذكرهم قد تناولوها أيضاً. إلا وهي: فكرة العداء الأبدي من الفرس للعرب واعتبار الشعوبية إحدى مظاهر هذا العداء والمساواة الخفية للشيعة بالغلاة أو بالزنادقة».

من كتاب «الطائفية والسياسة في العالم العربي ـ فرهاد ابراهيم ـ ص 270ـ 274».

هذا مثل آخر يبين كيف أن هذه العنصرية الطائفية من القوة بحيث أنها تطغى حتى على العلاقات الرفاقية، ويتم التعبير عنها بصورة مباشرة من قبل قادة الدولة:

❖ لقد برز عبدالسلام عارف في تاريخ العراق الحديث كأبرز حاكم طائفي، قد لا يصل إليه في طائفيته سوى أحمد حسن البكر الذي كان يختلف عنه بكونه طائفياً يعمل في الخفاء ويخطط بخبث ومكر عظيمين، ففي الفترة التي حكم فيها عارف خاصة بعد انقلاب 18 تشرين الثاني1963، كان الشارع العراقي يعيش أكبر انقسام طائفي في حياته وأصبح الصراع يتصاعد بين الشيعة والسنة الى درجة أصبحت تهدد فيها وحدة الشعب العراقي بأخطار جسيمة، ولم يخف عارف عداءه للشيعة وكانت حركة تشرين في واقعها تستهدف تعزيز النهج الطائفي لمؤامرة شقيقتها التي وقعت في شباط، حتى أنه لم يستطع أن يخف امتعاضه من وجود عدد من الشيعة أعضاء في ما يسمى بمجلس قيادة الثورة، ففي إحدى الاجتماعات لهذا المجلس وكان جميع أعضائه قد حضروا مكان الاجتماع في القصر الجمهوري إلا محسن الشيخ راضي وهو شيعي من النجف، حيث كان الجميع ينتظرون قدومه لبدء الاجتماع فما كان من عارف

إلا أن بادر الحاضرين قائلاً: (لماذا ننتظر هذا العجمي؟ دعونا نبدأ الاجتماع). وكلمة عجمي تعني في قاموس غلاة أهل السنة كل شيعي ولو كان معروفاً جيداً نسبه العربي. ولا يخفي بأن الذين آزروا عارف في انقلابه على حزب البعث كانوا يشاطرونه كثيراً في آرائه وتوجهاته الطائفية وكان قسم من هؤلاء أعضاء في قيادة الحزب نفسه، ونظرة واحدة للبيان الذي اصدره عارف يوم الثامن عشر من تشرين الثاني تبين لنا بعض دوافعه وسوداوية أفكاره. (أدت الهجمات على حريات الشعب التي قام بها الشعوبيون المتعطشون للدماء من أفراد الحرس القومي). وكلمة شعوبي يعرف العراقيون ما تعني فعلاً وهي في قاموس السياسة في العراق تطلق على الشيعة عموماً، وعلى الرغم من ان الحرس القومي من تنظيمات حزب البعث وقد نفذ هذا الجهاز مجازر رهيبة وأعمالاً منكرة في العراق ضد الشيعة لصالح الاتجاه القومي إلا أن هؤلاء لم يسلموا أيضاً من إطلاق صفة الشعوبية عليهم. فهم وعلى الرغم من الخدمات الكبيرة التي قدموها لسلطة الانقلاب والتي كان عارف شخصياً يشجعهم عليها اتهموا بالعداء للقومية العربية، ومرة أخرى ينتهي انقلاب تشرين الى مذبحة أخرى بحق الشيعة وتمتلىء بهم السجون ويطالهم الإعدام والإرهاب والتعذيب وتفصل أعداد كبيرة منهم من وظائفهم ويطاردون في أرزاقهم، فبعد كل مؤامرة وانقلاب تصب السلطة الحاكمة الجديدة جام غضبها وحقدها على الشيعة وحدهم، وهكذا كانوا دوماً كبش الفداء على مذبح الأطماع الشخصية للحكام. ولقد جاءت الوزارة التي شكلها طاهر يحيى بعد 18 تشرين سنية صرفة، ولم تحوِ في دورتها سوى اثنين من الشيعة اللذين كانوا في واقعهم أبعد ما يكون عن الشعور بمشاعر أهلهم وعشيرتهم».

من كتاب «البناء المعنوي للقوات المسلحة العراقية ـ العقيد احمد الزيدي ـ ص 83».

شيعة العراق والنخبة الدينية الشيعية المرتبطة بإيران

يبدو أن التاريخ وسوء الحظ أوقعا شيعة العراق وسط نارين: نار الحكومات التي اعتبرتهم دائماً على إيران والأعاجم، ثم نار النخبة الدينية المتفرسة عرقياً وسياسياً والتي لم ترتبط أبداً بالواقع العراقي وظلت حتى الآن تعاني من ازدواجيتها الوطنية.

هذه رسالة قارىء عراقي (شيعي) نُشرت في جريدة الوفاق العراقية المعارضة (لندن). إن هذه الرسالة تعبر بصدق وتلقائية عن الرأي الشعبي السائد لدى الأغلبية الساحقة من الشيعة العراقية.

❖ **«الله في عونكم أيها الشيعة»!!**

السيد رئيس التحرير المحترم

السلام عليكم وبعد... قرأت والأمل يحز في نفسي رد السيد زيد حمادي على مقالة الباحث «التنويري» (زاهر الجيزاني) ولم يبق أمام السيد (.. سوى أن يشتم العراق وشعبه بل لم يبق أمامه سوى أن يرمي شعب العراق في البحر أو يرجمه بحجر دفاعاً عن إيران. وإذا كان السيد (..) يدافع عن الشورجة ـ البورصة المالية ــ فالعراقيون العرب الشيعة لم يستفيدوا ديناراً واحداً من هذه البورصة.. ففقراء الشيعة سواء في بغداد أو الجنوب منذ الخمسينات يعانون من انعدام السكن والتعليم والصحة والتنظيم السياسي بسبب اضطهاد السلطة لهم ومع ذلك لم تسهم هذه البورصة المالية في التخفيف عن معاناتهم في حين كان تجارها وغالبيتهم من ذوي الأصول الايرانية يعيشون في بيوت فاخرة وأرصدة كبيرة. أمام مائة ألف صريفة تضم نصف مليون عراقي عربي شيعي يسكنون فوق المزابل وفي وسط مياه الصرف الثقيلة وفي ذيل بغداد ـ ولم يفكر هؤلاء في إنشاء صندوق إعانة لهم أوالتبرع بتحسين سكناهم أو مساعدتهم مالياً أو حث المراجع الدينيين على طرح مشكلتهم على نطاق علني.. انتظر فقراء الشيعة حتى ظهور عبدالكريم قاسم.. ليعاملهم بوصفهم مواطنين عراقيين وينصفهم.

أما المرجع الديني (السابق) فما يزال صدى الحديث عن الرصيد المليارى المسجل باسم وكلائه في الخارج يتفاعل بين فقراء الشيعة في المنفى ... وفي الأردن ما يقرب من 50 الف عراقي عربي شيعي ـ جائع ذليل ولهم الحق في هذه الثروة مثلما لهم الحق أيضاً في الثروة التي سرقها صدام.

هذه الكتلة الكبيرة المصروعة على رمضاء العراق تماماً مثل إمامهم الشهيد الحسين عليه السلام المصروع على أرض كربلاء لا ناصر لهم ولا معين فالطرد يأتيهم من جهاتهم الأربع في (مرقد السيدة زينب عليها السلام) الشيعة العرب العراقيون هم الفقراء والجائعون إنهم يتسولون والأحزاب السياسية المرتبطة بايران تستلم الأموال باسمهم، باسم آلامهم وتعاملهم متسولين وأذلاء بل أكثر من هذا تعلمهم وتدربهم على التسول وتذلهم في اليوم الواحد مئات المرات من خلال أوراق طعام حقيرة يتصدق بها هذا المكتب أو ذاك من مكاتب المراجع الايرانيين، أما الباحث «التنويري» (ز. ج) فقد أصاب كبد الحقيقة وعبر عن آلامنا وفتح أعيننا

على حقيقة غائبة عنا، وآن للضحية أن تقول كلمتها أمام جلاديها وأمام خادعيها على حد سواء، وسيكون الاتهام جاهزاً سلفاً هنا (جماعة صدام ـ مخابرات ـ خريج المدرسة العفلقية ـ الخ) والسؤال هل جماعة صدام ومخابراته وخريجوا مدرسته يعيشون فقراء وجائعين ومطرودين؟ كلنا يعرف أن هؤلاء حازوا على أفضل الأراضي وأفضل المناصب وأفضل الأرصدة. وكذلك أعوان المراجع الايرانيين لهم في المنافي أفضل الامتيازات ولا أقول سوى ـ إلى الله المشتكى من هذه المحنة. وقد أثبتت تجارب 1991 أن ايران ليست العمق الاستراتيجي للشيعة العراقيين وهي عمق للايرانيين وليس لسواهم.

والعراقيون العرب الشيعة هم الذين يحق لهم التحدث عن اضطهادهم ومأساتهم ولديهم كفاءات سياسية وثقافية قادرة على ذلك ولا يحق للشيعي الايراني أو الباكستاني أو الهندي أو الأفغاني التحدث نيابة عنهم».

المخلص زيدان العماري ـ جريدة الوفاق 4ـ 7ـ 1996».

❖ ❖ ❖

مثال من تاريخ الشعوبية في سوريا

يبدو أن المطالبة بالمساواة ورفض هيمنة الأقلية الأرستقراطية العربية، لم يكن أمراً شائعاً في العراق فقط، فهذا نموذج من سوريا التي عرفت تيار «الشعوبية» بدرجة أقل من العراق:

❖ ديك الجن الحمصي

«ولقد كان دون هذين بمراحل بعيدة شاعر آخر هو عبدالسلام بن زغبان (777ـ849) الملقب بديك الجن لبشاعة سحنته وخضرة عينية. وهو من أبناء حمص لزم موطنه طول حياته فلم يبرحه. وكان من الراجح أنه من ذرية نصراني اعتنق الاسلام في موقعة مؤتة. على أن شاعرنا هذا يتمتع بأهمية خاصة لأنه عمد في شعره ـ الذي لم يبقَ منه إلا القليل ـ الى تأييد قضية الشعوب المغلوبة في وجه مفاخرالعرب ودافع عن تفوق السريان ـ أي السريان المستعربين ـ ضد العرب. لذلك كان خليقاً بأن يعتبر رائداً لتلك الحركة الفكرية الهامة التي عرفت بالشعوبية. ولقد كان ديك الجن شيعياً معتدلاً ومع اعتداله أقرب الى التهاود، إذ بذر أمواله في التماس الطرب والسعي وراء اللذات. وفي ساعة اهتياج من ساعات الغيرة الشديدة

عمد الى امرأته ـ وكانت قبلاً أمة نصرانية عنده ـ فسدد إليها طعنة قاتلة: لكنه تثبت بعدئذ من براءتها، فكان طيفها لا ينفك يعتاده فيبرح به الألم، على ما وصف في شعره الذي يتدفق عاطفة».

عن كتاب «تاريخ سوريا ـ فيليب حتي ـ ص 182».

❖ ❖ ❖

كوارث الطبيعة والصراع الإيراني ـ التركي

هذا الجدول يكشف لنا عن توالي الكوارث الطبيعية والسياسية على العراق من ناحية غدر الطبيعة والنهرين الكريمين. ومن ناحية الاجتياحات الأسيوية (الايرانية ــ التركية) التي كانت تستفيد من غدر الطبيعة. علماً أن هذه هي الكوارث الكبرى، أما عشرات الكوارث الصغرى فلا تذكر. ثم إن الصراع الايراني ـ التركي لم يكن فقط يستخدم أرض العراق في الحروب بل كان أيضاً يستخدم الشعب العراقي كوسيلة أساسية في هذه الحروب من خلال تقسيم العراقيين الى طرفين أساسيين في هذه الحروب: شيعة وسنة. مع ملاحظة أن الجدول يتحدث عن ذبح الأتراك (30) الف عراقي شيعي وليس (فارسي) كما العادة التي جرى استخدامها من قبل المؤرخين بتسمية الشيعة العراقيين، ولجأ اليها أيضاً المؤرخ (حنا بطاطو) رغم صدق نواياه وعلميته المحترمة.

إن المطلع على مسيرة العراق منذ فجر التاريخ يمكنه ان يكتب مثل هذا الجدول عشرات المرات بسبب ديمومة الحالة الكارثية بالتعاضد بين غدر الطبيعة الكريمة واجتياحات الشعوب الآسيوية الرعوية والقبائل الصحراوية.

الكوارث التي حلت ببغداد خلال القرون 17 و18 و19 التي نملك سجلاً بها :

1621	مجاعة
1623	الفرس يذبحون ((مئات الألوف)) من السنّة ويبيعون ((آلافاً)) منهم عبيداً
1633	فيضان
1635	وباء
1638	مجزرة عامة نفذها الأتراك راح ضحيتها 30 الف شخص معظمهم من الفرس

1656	فيضان
1689	مجاعة ووباء
1733	حصار فارسي : ((أكثر من 100ألف ماتوا جوعاً)) ـ طاعون
1777ـ 1778	حرب أهلية في بغداد
1786	فيضان ـ محصول فاشل ـ مجاعة ـ اضطرابات مدنية
1802 ـ 1803	وباء ـ فناء ((معظم سكان العراق (؟!)))
1822	وباء ـ فيضان
1831	وباء ـ فيضان ـ حصار ـ مجاعة ـ هبط عدد سكان بغداد من 80 الف نسمة الى 27 الفاً
1877 ـ 1878	وباء ـ مجاعة
1892	فيضان
1895	فيضان

من كتاب «العراق ـ بطاطو ـ ج1 ـ ص 34»

❖ ❖ ❖

ديمومة الميراث في الحياة اليومية

هذا الموضوع على طرافته ، فإنه يذكر مسألة حقيقية عن ديمومة التقاليد الثقافية لدى الشعوب دون إدراك واعٍ بل بصورة تلقائية دفينة في أعماق الشعور الجمعي.

❖ لا جديد تحت شمس العراق

سألتني قبل أيام الصحافية الاذاعية لوريزا سواقي من اذاعة سبكترم ، ما اذا كان هناك شيء من تراث العراق القديم ما زال حياً في العراق. وهو سؤال عميق في الواقع وطالما خطر للأجانب عند زيارتهم لهذا البلد العربي. بالطبع يشعرون بصدمة عندما يصلون الى هناك فعبثاً يبحثون عن برج بابل والحدائق المعلقة وقصور الرشيد ومدينة المنصور. فلا يجدون منها شيئاً. ولكن هذا بحث ساذج. فالمباني لا تشكل إلا جزءاً ضئيلاً من تراث الأمة. من يسأل عن تاريخ العراق فليبحث عنه في شعب العراق. كثير من التقاليد وأساليب الحياة العراقية يعود تاريخها الى عهود البابليين والسومريين.

خطر لي ذلك وأنا أتذكر اكتشافات العالم الآثاري الفرنسي جان بوترو. سبق لأولاد الحلال أن هربوا الى امريكا ثلاثة ألواح بابلية. درسها الخبراء الأمريكان فلم يجدوا فيها أي شيء يتعلق بمعالجة مرض الإيدز أو صنع قنبلة ذرية جديدة فتركوها جانباً. لم يفهموا محتوياتها قط ، حتى قدر للعالم الفرنسي بوترو أن يلقي نظرة عليها. وفي الحال وكأي رجل فرنسي أصيل اشتم فيها رائحة أطعمة لذيذة فترك كل شيء وصب جهوده عليها. فتح قنينة شراب وشمر عن ساعديه وكان ما اكتشفه 35 وصفة مفصلة للطبخ. واتضح من قراءته للنصوص ومن قراءتي لوصفه لها ، أنه لا جديد هناك تحت شمس المطبخ العراقي. فمعظم الطبخات الوارد ذكرها على الألواح المسمارية الثلاثة تتعلق بإعداد لمادة لا تكتمل أي وليمة عراقية بدونها ، وأقصد بها «المرق» المتكون من الخضروات ولحم الخروف أو لحم العنز أو لحم الدجاج. وفيها اشارات لتطييب المرق بالثوم والكزبرة والكمون. ويعتمد أسلوب الطبخ على السلق بالماء.

واتضح أن هذه الألواح تعود الى عهد الملك حمورابي (1792ـ1650 قبل الميلاد). وهذا اكتشاف أزعجني كثيراً فإنني قضيت ثلاثين سنة من عمري ووالدتي رحمها الله تطبخ لي وتطعمني بأكلات من أكلات ذلك الملك البابلي المهيب وأنا أتدلع وأتدلل عليها وأركل بقدمي ما أعدته من طبيخ دون أن أدرك حقيقة الأمر. ثلاثون سنة من عمري وأنا أكل طعاماً بابلياً سومرياً دون أن أعرف.

تعتبر الآن هذه الألواح الثلاثة المكتوبة بالحروف المسمارية أقدم وصفات المطبخ عرفها الانسان. وتدل أيضاً على مدى اهتمام أبناء النهرين ببطونهم تماماً كما يفعلون اليوم. ألم أقل لا جديد تحت شمس العراق؟

وقد عقدت جامعة بيل ندوة «مأكولاتية» خاصة بشأن هذه الاكتشافات. وكان من أهم ما قدم فيها للمشاركين طبخة دجاج بالبهارات حسب تعليمات طباخ الملك حمورابي. وأعرب الجميع عن عميق تقديرهم لذوق الطباخ البابلي. وربما لن تمضي فترة طويلة حتى تتبنى مطاعم كنتوكي هذه الوصفة القديمة وتقوم بتسويقها من الرز باسم دجاج حمورابي ، وكما أتوقع سيقدمونه في العراق في المهرجانات والندوات الفكرية باسم دجاج صدام.

ولكن لا حاجة للأخت لوريزا سواقي لأن تنتظر حتى ذلك الوقت. شرفينا بزيارتك لتعد لك زوجتي وليمة بابلية من المرق حسب مواصفات وتعليمات طباخ حمورابي ، بل ربما

حمورابي نفسه، فلا بد أنه كان ماهراً في الطبخ كما كان بارعاً في التشريع، ككل أبناء النهرين.

«خالد القشطيني ـ جريدة الشرق الأوسط 25ـ 2ـ 1997».

❖ ❖ ❖

الأصول العراقية للمفردات الأعجمية

إن الجهل بمعرفة اللغات القديمة لشعوب المنطقة الأصلية مثل السومرية والسامية والمصرية والبربرية أثر كثيراً على معرفة أصول اللغة العربية. وقد لعبت «العقدة الايرانية» دوراً بالاعتقاد بأعجمية وفارسية الكثير من هذه المفردات. هذا مثال على أهمية ربط الحضارة العربية ولغتها بما سبقها في المنطقة.

«وفي عام 1980 أحصى الأستاذ طه باقر ما يقرب من 250 كلمة تعود الى أصل سومري أو بابلي، في حين أنها كانت تعد من الدخيل أو الأعجمي في اللغة العربية. ونقتبس في أدناه عدداً من تلك المفردات:

الكلمة في العربية	أصلها البابلي
أباب (الماء)	abubu
أتون	utunu (سومرية الأصل)
آجر	argamanu
أرجوان	adranu
إقليم	kalam (سومرية الأصل)
بط	busu
بلور	burallu
دكان	tukkanu (سومرية الأصل)
تنور	tinuru
صنم	salmu

سفرجل	supurgillu
سوسن	shishnu
كبة	kuppatu
هيكل	ekallu (سومرية الأصل)
يرقان	amurriqanu

من كتاب «من سومر الى التوراة ـ د. فاضل علي ـ ص 147ـ 148».